الحكمة في انزال القرآن

(س ٢٢) عبد الحميد افندي السوسي في (الاسكندرية) : ماهي الحكمة في إنزال القرآن الحكيم هل الحكمة بذلك التعبد بتلاوته كما يقول العلماء ـ وهل من نص قطعي يؤيد قولهم ـ أو لنجعله حانوتاً نبيع منه (عدية يس) ونقرأه على الموتى ونكتب آياته في آنية ونمحوها بالماء ونتماطاها لنشفى من داء كذا أو لنقرأه للتبرك وما هو التبرك ؟ ألم يكن هو فهم آياته حق الفهم والتأدب بادابه الكريمة واتباع أوامره واجتناب نواهيه وليتدبروا آياته ، كما قال جل ثناؤه ، أرجو الجواب على صفحات مناركم . ولكم الاجر من ربي وربكم

(ج) الحكمة من انزال القرآن مبينة في القرآن ليس فيها شبهة لمن جعلوه حرفة بل فيه الحجة واللعنة على من يشترون به ثمنا قليلا ، وليس فيها نص قطعي يؤيد قولهم بالتعبد بتلاوته على اطلاقهم الذي يتناقلونه ولكنهم يستدلون عليه بأحاديث هم يتفقون على انها ليست نصوصاً قطعية كالاحاديث التي وردت في كون تالي القرآن يعطى بكل حرف عشر حسنات ونحو ذلك من الثواب وهناك أحاديث أخرى في وعيد من يتلو القرآن وهو غافل عن هدايته لابد من الجمع بينها وبينها وانا نذكر المؤمنين بشيء من الآيات والاحاديث في الحكمة والفائدة التي أنزل الله لها القرآن لان أهل الاهواء السياسية والشخصية في مصر قد جعلوا القرآن في هذه الأيام موضعاً لاهوائهم فكل يزعم نصره ونصر حفاظه والله أعلم بالصادقين . ولا تخفى على الناس آيات المنافقين

ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم

وهاك طائفة من الآيات الكريمة في حكمة تنزيل القرآن

(١) الم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين (البقرة ٢)

(٢) انا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون (يوسف ١٢)

(٣) الر ، كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد (ابراهيم ١٤)

(٤) الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا (الكهف ١٨)

(٥) طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى (طه ٢٣)

(٦) تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا (الفرقان ٢٤)

(٧) طس — تلك آيات القرآن وكتاب مبين ٠ هدى وبشرى للمؤمنين ٠ الذين يقيمون الصلاة الخ (النمل ٢٧)

(٨) الم — تلك آيات الكتاب الحكيم ٠ هدى ورحمة للمحسنين ٠ الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون ٠ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ٠ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين (*) واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم (لقمان ٣٠)

(٩) حم تنزيل من الرحمن الرحيم ٠ كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ٠ بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ٠ وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل انا عاملون (فصلت ٤٠)

(١٠) أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (النساء ٤)

(١١) أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين (المؤمنون ٢٣)

(١٢) أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها الخ (محمد)

(١٣) كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب (ص ٣٨)

(١٤) هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون الخ (الاعراف ٧)

(١٥) يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم الخ (يونس ١٠)

(١٦) وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذا الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين (هود ١١)

(١٧) لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب الخ (يوسف ١٢)

(١٨) وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من

(*) اني لاخشى أن تحتكون الجرائد التي تتكلم في الدين بالهوى لا بالعلم والاخلاص مما يدخل في لهو الحديث هنا

العلم مالك من الله من واق (الرعد ١٣)

(١٩) هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الالباب (ابراهيم ١٤)

(٢٠) وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون (النحل ١٦)

(٢١) قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين (النحل ١٦)

(٢٢) ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا (الاسراء ١٧) (وفي هذه السورة آيات أخرى فيها عبر كبرى)

(٢٣) فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لدا (مريم ١٩)

(٢٤) لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون (الحشر ٥٩)

والآيات في هذا المعنى كثيرة وكلها ناطقة بأن القرآن أنزل هداية للناس وبشيرا للمحسنين في أعمالهم ونذيرا للمسيئين وانه عبرة وتذكرة وموعظة وشفاء لما في الصدور أي القلوب من أمراض الجهل بالله وبما له على عباده من الحقوق ومالبعضهم من ذلك على بعض وأمراض الاخلاق السيئة والعادات الضارة . وهناك آيات كثيرة في وعيد المعرضين عن هدايته الغافلين عن تدبره والذين يشترون بآيات الله ثمناً قليلا وكون هذه من صفات الكافرين ومن أشد ما نزل في المؤمنين الاولين على علوكعبهم وقوة يقينهم من قوله تعالى في (سورة الحديد ٥٧) «ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون» — ذكر الله وما نزل من الحق هو القرآن . قال في الجلالين ان الآية نزلت في الصحابة لما أكثروا المزاح وقال السيوطي في أسباب النزول انها نزلت فيهم بعد ان قدموا المدينة فأصابوا من عيشها بعد ما كان بهم من الجهد وكأنهم فتروا في العمل . فهذا هو القرآن وهذا وعظه وتربيته للمؤمنين فانظر الى حفاظه اليوم والى الذين يزعمون أن من تعظيمه وتكريمه

أن يكون حافظه أمياً لا يكلف قراءة ولا كتابة ولا فهماً ولا عقلاً ولا تدبراً ولا تذكراً ولا تفكراً بل يكلف أن يتلوه ولو بغير تجويد وان يأكل به أوقاف الاموات ومال الاحياء ، أين هم من هدايته وأين هم مما جاء به ؟ ؟

وأما الاحاديث الواردة في القرآن فمنها ما ورد في حفظه وتعلمه وتعليمه وهذا مطلوب لامرين أحدهما فرض عيني وهو معرفة العقائد الصحيحة والآداب الكاملة وفقه الاعمال التعبدية والدنيوية التي فصلت السنة كيفياتها وبينت صورها ، والثاني فرض كفاية وهو تبليغه وحفظه لاجل تبليغه بلفظه على الوجه الذي أدى اليه ومعناه في الدعوة الى ما دعا اليه من العقائد والاحكام والفضائل ليكون الدين بذلك محفوظاً ولا ينسى أن الترغيب في قراءته وحفظه يستلزم الترغيب في فهمه والاهتداء به لانهم كانوا يفهمونه بل ذلك مما يتضمنه الترغيب بلفظه . ومنها ما ورد في وعد العاملين به ووعيد المعرضين عنه والواجب فهم مراد الشارع من مجموع كلامه فلا نؤمن ببعض ونكفر ببعض . وهذه طائفة من الاحاديث في ذلك

(١) عن أبي هريرة (رض) ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال « لا حسد الا في اثنتين رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار فسمعه جار له فقال ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل . ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه في الحق فقال رجل ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل » رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي والمراد بالعمل مثل ما يعمل فلان في الاولى هو العمل بالقرآن كما تدل عليه المقابلة ورواية ابن عمر في الحديث نفسه « فقام به آناء الليل » الخ قالوا والمراد قام به تلاوة وطاعة . وفي الحديث رواية أخرى أبين في المراد وهي عند البخاري ومسلم وغيره وفيها بدل أوتي القرآن « ورجل آتاه الله الحكمة فهو يعمل بها ويعلمها الناس » والمراد بالحكمة القرآن جمعاً بين الروايات

(٢) عن عثمان (رض) عن النبي (ص) قال « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » رواه البخاري وغيره وفي رواية عنه ان أفضلكم : الخ قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري : ولا شك ان الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه ولغيره جامع بين النفع القاصر والنفع المتعدي ولهذا كان أفضل وهو ممن عنى الله سبحانه وتعالى

بقوله « ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين » والدعاء الى الله يقع بأمور من جملتها تعليم القرآن وهو أشرف الجميع وعكسه الكافر المانع لغيره من الاسلام كما قال تعالى «فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها » فان قيل فيلزم على هذا ان يكون المقرئ أفضل من الفقيه قلت لا لأن المخاطبين بذلك كانوا فقهاء النفوس لانهم كانوا أهل اللسان فكانوا يدرون معاني القرآن بالسليقة أكثر مما يدريها من بعدهم بالاكتساب فكان الفقه لهم سجية فمن كان في مثل شأنهم شاركهم في ذلك لا من كان قارئاً محضاً لا يفهم شيئا من معاني ما يقرؤه أو يقرئه » فان قيل فيلزم أن يكون المقرئ أفضل ممن هو أعظم غناء في الاسلام بالمجاهدة والرباط والامر بالمعروف والنهي عن المنكر مثلا : قلنا محرف المسئلة يدور على النفع المتعدي فمن كان حصوله عنده أكثر كان أفضل فلعل «من» مضمرة في الخبر بعد إن (١) ولا بد مع ذلك من مراعاة الاخلاص في كل صنف منهم، ويحتمل ان تكون الخيرية وان اطلقت لكنها مقيدة بناس مخصوصين خوطبوا بذلك وكان اللائق بحالهم ذلك، أو المراد من المتعلمين من يعلم غيره لا من يقتصر على نفسه، أو المراد مراعاة الحيثية (٢) لان القرآن خير الكلام فتعلمه خير من متعلم غيره بالنسبة الى خيرية القرآن . وكيفما كان هو مخصوص بمن تعلم وعلم حيث يكون قد علم ما يجب عليه عيناً اه

(المنار) هذا كلام الحافظ في معنى الحديث وفيه بيان مراد الثوري بتفضيل اقراء القرآن على الجهاد اذ لا يمكن أن يكون من لا يفهم القرآن ولا يفيد الناس احكامه كالمجاهد في سبيل الله فانظر اين هذا من زعم بعض الناس أن امثال الحفاظ للالفاظ في مصر أفضل من المجاهدين بالاجماع فما أجرأ الناس على دعوى الاجماع بغير علم اعتماداً على ان العامة تقبل منهم كل قول بغير دليل

(٣) عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وعملكم مع عملهم ويقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم » أي لا تفقهه قلوبهم ولا

(١) اي ان التقدير: ان من أفضلكم: وكثيراً ما يطلق اسم التفضيل على تقدير من كحديث «خيركم خيركم لاهله» (٢) أي انه افضل من حيثية التعليم لا من كل جهة

يتفقهون بما تلو منه » يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» الخ رواه البخاري

(٤) عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالاترجة طعمها طيب وريحها طيب والمؤمن الذي لايقرأ القرآن ويعمل به كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها» ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذي لايقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مر أو خبيث وريحها مر» رواه البخاري ومسلم وأنت ترى انه جعل المؤمنين قسمين قسما يقرأ ويعمل بما يقرأ وهو النافع لنفسه ولغيره أوالذي هو طيب في ظاهره وباطنه وقسما يعمل به ولكن لايقرأه وهو الطيب في نفسه وباطنه وإن كان لاينتفع بظاهره ولم يذكر ان من المؤمنين قسما آخر وهو الذي يقرأ فقط بل عد هذا من المنافقين » فانظر أين علم الرسول صلى الله عليه وسلم من علم هولاء الذين يقولون ان حفاظ الالفاظ الذين لايقصدون بها الاهتداء ولا الارشاد بل الكسب والاستجداء أئمة في الدين وان من إهانة القرآن أن يقال انهم يحتاجون منه الى العلم بالقراءة والكتابة أو شيء آخر !!! أعوذ بالله من شر هذا الزمان ، الذي عبث فيه الجاهلون بالسنة والقرآن »

(٥) عن جابر رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ القرآن وفينا الاعرابي والعجمي فقال «إقرءوا فكل حسن وسيجيء أقوام يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولايتأجلونه » رواه أبوداود والبيهقي في شعب الايمان » والمعنى ان الذين يجيئون من بعده يقيمون ظاهر اللفظ من غير طلب لاقامة عقائد الدين وأحكامه وهدايتهم به فهم كالذي يقوم القدح وهو بالكسر السهم الذي لاريش له ولانصل فلاتمكن المناضلة به » ومعنى يتعجلونه ولايتأجلونه يطلبون الانتفاع به والاجر عليه في الدنيا لافي الآخرة » وهذا الحديث يصدق على القراء لاجل الكسب في هذا الزمان وأوضح منه انطباقاً عليهم الحديث الآتي

(٦) عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها وإياكم ولحون اهل العشق ولحون اهل الكتابين وسيجيء بعدي قوم يرجّعون القرآن ترجيع الغناء والنوح لايجاوز حناجرهم

مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم» رواه البيهقي في شعب الايمان ورزين في كتابه. والذين يعجبهم شأنهم هم الذين يطربون بقراءتهم أو يستأجرونهم لها والذين يرون الفضيلة والخدمة للاسلام في تكثير سوادهم وشدة احترامهم

(٧) عن جابر (رض) مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم «اقرءوا القرآن وابتغوا به الله تعالى من قبل ان يأتي قوم يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه» رواه أحمد وابو داود

(٩) عن عبد الله بن عمر (رض) قال قال رسول الله (ص) «اقرأ القرآن ما نهاك فان لم ينهك فلست تقرؤه» رواه الديلمي في مسند الفردوس

(٨) عن عمران بن حصين قال قال رسول الله (ص) «اقرءوا القرآن واسئلوا به الله قبل ان يأتي قوم يقرءون القرآن فيسألون به الناس» رواه أحمد والبيهقي والطبراني

(١٠) عن صهيب (رض) مرفوعا «ما آمن بالقرآن من استحل محارمه» رواه الترمذي

(١١) عن ابي هريرة (رض) مرفوعا «من اخذ على القرآن اجرا فذاك حظه من القرآن» رواه ابو نعيم في الحلية

(١٢) عن بريدة (رض) مرفوعا «من قرأ القرآن يتأكل به الناس جاء يوم القيامة ووجهه عظم ليس عليه لحم» رواه البيهقي

(١٣) عن ابي الدرداء (رض) مرفوعا «من اخذ على تعليم القرآن قوسا قلده الله مكانها قوسا من نار جهنم» رواه البيهقي وابو نعيم في الحلية والطبراني بلفظ آخر والروايات في القوس متعددة وكان اهدي مقرىء قوسا فأخذها

(١٤) عن ابن عباس (رض) مرفوعا: من اخذ على تعليم القران اجرا فقد تعجل حسناته في الدنيا والقرآن يحاجه يوم القيامة: رواه ابو نعيم.

(١٥) حديث ابي هريرة المرفوع في الثلاثة الذين هم اول من تسجر بهم النار وفيه أنه يقول الله تعالى يوم القيامة «تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن» وان الله تعالى يقول له «كذبت انما تعلمت ليقال إنك عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارىء» ثم يسحب على وجهه ويلقى في النار. والاحاديث في العمل بالقرآن وابتغاء وجه الله تعالى به كثيرة ومنها ما فيه ترغيب في البكاء فنكتفي بهذا القدر ونذكر جملة في ذلك من سيرة السلف الصالح الذين كانوا مهتدين بالكتاب والسنة. جاء في كتاب إحياء علوم الدين الفصل الآتي

في ذم تلاوة الغافلين

قال أنس بن مالك رب تال للقرآن والقرآن يلعنه وقال بسيرة الغريب هو القرآن في جوف الفاجر وقال أبو سليمان الداراني الزبانية أسرع الى حملة القرآن الذين يعصون الله عز وجل منهم الى عبدة الأوثان حين عصوا الله سبحانه بعد القرآن وقال بعض العلماء اذا قرأ ابن آدم القرآن ثم خلط ثم عاد فقرأ قيل له مالك ولكلامي وقال ابن الرماح ندمت على استظهاري القرآن لانه بلغني ان أصحاب القرآن يسئلون عما يسئل عنه الانبياء يوم القيامة وقال ابن مسعود ينبغي لحامل القرآن ان يعرف بليله اذا الناس ينامون وبنهاره اذا الناس يفطرون وبحزنه اذا الناس يفرحون وببكائه اذا الناس يضحكون وبصمته اذا الناس يخوضون وبخشوعه اذا الناس يختالون وينبغي لحامل القرآن أن يكون مستكيناً ليناً ولا ينبغي له أن يكون جافياً ولا عارياً ولا صياحاً ولا صخاباً ولا حديداً وقال صلى الله عليه وسلم «أكثر منافقي هذه الامة قراؤها» وقال صلى الله عليه وسلم «اقرأ القرآن ما نهاك فان لم ينهك فلست تقرؤه» وقال صلى الله عليه وسلم «ما آمن بالقرآن من استحل محارمه» وقال بعض السلف ان العبد ليفتتح سورة فتصلي عليه الملائكة حتى يفرغ منها وان العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها فقيل وكيف ذلك فقال اذا احل حلالها وحرم حرامها صلت عليه والا لعنته وقال بعض العلماء ان العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقول «ألا لعنة الله على الظالمين» وهو ظالم لنفسه «ألا لعنة الله على الكاذبين» وهو منهم وقال الحسن انكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملا فأنتم ترحلونه فتقطعون به مراحله وان من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار وقال ابن مسعود أنزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا ان أحدكم ليقرأ القرآن من فاتحته الى خاتمته ما يسقط منه حرفاً وقد أسقط العمل به وفي حديث ابن عمر وحديث جندب رضي الله عنهما لقد عشنا دهرا وأحدنا يؤتى الايمان قبل القرآن فتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها ثم لقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الايمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب الى خاتمته لا يدري ما آمره ولا زاجره ولا

ماينبغي أن يقف عنده منه ينزه نفسه الدقل وقد ورد في التوراة ياعبدي أما تستحي مني يأتيك كتاب من بعض اخوانك وأنت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقعد لاجله وتقرؤه وتتدبره حرفاً حرفاً حق لايفوتك شيء منه وهذا كتابي أنزلته اليك انظركم فصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه أفكنت أهون عليك من بعض اخوانك ياعبدي يقعد اليك بعض اخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي الى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم أوشغلك شاغل عن حديثه أومأت اليه ان كف وهاأنا ذا مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض بقلبك عني أفجعلتني أهون عندك من بعض اخوانك اه

وأما علماء الخلف وائمتهم فهم متفقون مع السلف على ذلك . قال الامام محي الدين النووي في آداب حملة القرآن مانصه

(فصل) وينبغي ان لايقصد به توصلا الى غرض من اغراض الدنيا من مال أو رياسة أو وجاهة او ارتفاع على اقرانه أو تنأ عند الناس أو صرف وجوه الناس اليه أو نحو ذلك ولا يشوب القرئ إقراءه بطمع في رفق يحصل له من بعض من يقرأ عليه سواء كان الرفق مالا أو خدمة وان قل ولو كان على صورة الهدية التي لولا قراءته عليه لما اهداها اليه قال الله تعالى «من كان يريد حرث الآخرة نزدله في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب» وقال تعالى «من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريده الآية» وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لايتعلمه لايصيب به غرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة) رواه ابوداود باسناد صحيح ومثله كثير» الخ

وقال (فصل) ولا يتعلم الا من تكملت أهليته وظهرت ديانته وتحققت معرفته واشتهرت صيانته» الخ ونكتفي بهذا القليل من الكثير في هذا المقام

(النتيجة) علم مما تقدم من الآيات والاحاديث وآثار السلف الصالح ان القرآن هو الهداية العظمى وان حملته وحفاظه هم أئمة المسلمين ومرشدوهم ولذلك أمر عمر رضي الله عنه ان لايقرىء الناس القرآن الا عالم بالعربية ليقيم اللفظ فلا يسمي

اليه الخطأ والغلط ويفهم المعنى فيعمل به ويعلم الناس . وقد كان المشهورون من الصحابة باقراء القرآن أكابر علمائهم كعلي وعثمان وأبيّ وزيد بن ثابت وابن مسعود وابي الدرداء وابي موسى الاشعري . وعمن قرأ على أبي ابو هريرة وابن عباس . فينبغي الاقتداء بالسلف بأن يكون حفاظ القرآن الذين يؤخذ عنهم هم الذين يتقنون لاتقان علوم القرآن اللفظية والمعنوية فيتقنونها . ولا يجوز أخذ القرآن عن الجاهلين باللغة وبأحكام الدين والمرتكبين للمحرمات والدناآت لانهم ليسوا عدولا يوثق برواياتهم

استطراد في حفاظ القرآن بمصر . وحادثة جديدة

جرت الحكومة المصرية على إعفاء حفاظ القرآن من الخدمة العسكرية فكثر حافظوه لذلك وهؤلاء الذين يحفظونه لهذا الغرض لا يريدون به وجه الله تعالى كما ورد ولا يلبث الكثيرون منهم بعد سن القرعة العسكرية ان ينسوه الا من اتخذه حرفة يكتسب به . ولما أنشأت نظارة المعارف تنظم المكاتب أو الكتاتيب التي يعلم فيها القرآن أو فدت اليها المقتدين من أهل العلم المتخرجين في الازهر ثم في دار العلوم وقد تبين لهؤلاء أن الكثيرين من الحفاظ الذين انقطعوا لاقراء القرآن لا يحسنون تلاوته بالتجويد المطلوب شرعاً وأنهم على جهل ومهانة لا تليق بعملهم . وقد اقرت الحكومة في مجلس النظار الذي اجتمع في هذا العام برياسة الامير أن لا يعفى حافظ القرآن من الخدمة العسكرية من بعد الا من يمتحن فيظهر انه حافظ للقرآن وحسن لتلاوته بالتجويد الواجب شرعا ومتعلم مبادئ القراءة والكتابة التي يتعلمها الصبيان أي لا يشترط أن يكون الخط جميلا والاملاء صحيحاً ولا ان تكون القراءة بدون لحن ، وعارف بالقواعد الاربع الصحاح في الحساب . وغرض الحكومة من ذلك فيما يظهر ان تكثر عدد الحفاظ الذين يصلحون لانشاء الكتاتيب وان يكونوا محترمين في الجملة بالارتقاء عن الامية المحضة فينتفع الناس بهم

ومن عجائب مصر أم العجائب أن قام بعض الناس يكتب المقالات الطويلة في جريدة المؤيد معزوة الى أزهري مجهول يحاول اقناع الناس بأن هذا الذي قررته الحكومة إهانة للقرآن وحملة القرآن وحجته أن الذي يحفظ ألفاظ القرآن يجب أن يستغني بها عن كل شيء حتى ما بعده لتجويد تلاوتها وفهم عبارتها وكتب مجهول

آخر في المؤيد في تقبيح ما تريده الحكومة وجريدة المؤيد مؤيدة لهم ولهامهم حجة أخرى وهو أن من تكريم حفاظ القرآن ان يعاملوا كبعض خدمة الكنائس والاديار الذين يعفون من خدمة العسكرية وهم غير متعلمين! وطفقوا يصورون للعامة ان هذا إهانة للقرآن وأن بعض العظماء في الامة يذرون الدموع أسفاً وحزناً على مصاب الاسلام باخراج حفاظ القرآن من الامية والجهل بالقراءة والكتابة الى أدنى مرقاة من سلم العلم والمعرفة . وقد نشرت في المقطم مقالة معزوة الى أحد العلماء جاء فيها أن تعلم الفنون العسكرية من فروض الكفاية فلا ينبغي أن يعد اهانة لاهل القرآن واذا كان الناس لا يستغنون عن الحفاظ في البلاد والقرى ليرجعوا اليهم في ضبط القرآن واحكامه فالجنود يحتاجون أيضاً الى الحفاظ في سفرهم واقامتهم لمثل ما يحتاج اليهم غيرهم فقام الازهري المجهول يهزأ بهذا القول الحق، يزعم أن الفنون العسكرية ليست مفروضة في مثل هذه البلاد يشير الى أن هذا الفرض سقط عن المسلمين في مصر لاحتلال الانكليز فيها

وقد نسي هذا الازهري — ان كان هنالك أزهري — حكم مذهبه الذي يتلقاه هو وامثاله في الازهر في دخول الاجانب في بلاد المسلمين فاتحين ويعتقدون انه محكم يعمل به في كل زمان وهو أن الجهاد عندهم يكون حينئذ من الفرائض العينية التي تجب على كل مكلف حتى مشايخ الازهر ومجاوريه وكذا النساء في قول فان كان يعتقد أن الانكليز فتحوا هذه البلاد وملكوها وصارت في عرفه دار حرب فكيف كتب ما عزاه المؤيد اليه وان كان يعتبر الظاهر الرسمي وهو ان هذه البلاد لا تزال إسلامية وان حاكمها هو الامير عباس باشا حلمي الذي ولاه عليها السلطان عبد الحميد وان البلاد دار إسلام وان الانكليز فيها معلمون ومعلمون لفساد حكامها حباً في الانسانية فكيف يزعم أنه طرأ عليها ما أسقط الفرض عن مجموع أهلها حتى انتقد الاستعداد له ؟ لعله عرض بذلك التعريض لاعتقاده أن ذلك العالم الذي كتب في المقطم لا يقدر أن يبين رأي فقهاء الازهر في هذه المسألة وينشره في المقطم أو في غيره خوفاً من الانكليز وان كان الانكليز فوق ما يظن من احترام الحرية الدينية وغير الدينية لأن نفوذهم لم يكن يمنع الناس من اظهار ما يريدون إظهاره وانما هو بالسماح لهم بذلك لانهم لا يخافون بافتياته ذلك ما داموا واثقين بأن سيرتهم هي العون لهم على ارضاء الناس وتنفيذ اهوائهم

على الظالمين الذين غلوا أيديهم عن الظلم

مالنا وللبحث مع المجهولين فى أمر الدين ونحن نعلم مبلغ علمهم وغاية مرماهم في كتابتهم وهذا مما نحب الاعراض عن الخوض فيه ولكن هناك أمرا آخر جديرا بالاعتبار وعرضه على ما تقدم من النصوص وهو أن الشيخ عبد الرحمن الشربيني شيخ الجامع الازهر كتب الى نائب أمير البلاد (قائمقام خديوي) رئيس مجلس النظار كتاباً رسمياً عن قرار من مجلس ادارة الازهر يطلب فيه أن تعدل الحكومة عن مشروع امتحان الحفاظ بما تقدم ذكره وهذه عبارة الكتاب • بعد حذف رسم الخطاب • منقولة عن المؤيد

« قد علمنا أن نظارة الحربية وضعت مشروعاً جديداً لتعديل بعض مواد قانون القرعة العسكرية وانه معروض الآن على مجلس شورى القوانين وانه يقضي بأن من يحفظ القرآن الشريف ويحسن تلاوته وليس له حرفة سواه لا يعفى من القرعة العسكرية الا اذا كانت له دراية بفن الحساب ونحوه

« وحيث ان كتاب الله تعالى (القرآن) هو أفضل الكتب السماوية وهو أساس دين الاسلام • وقد انعقد الاجماع على أن حفظه والتعبد بتلاوته هو من أهم أمور الدين وأن حملته من أشرف الناس وأولاهم بالاحترام والتكريم • وأن حفظه من فروض الكفاية • وان القائمين به كالمجاهدين فى سبيل الله تعالى • وأنه أصل الاصول فكل شيء يرجع اليه ويتبعه • فهو بمفرده كاف لاحترام أهله وتوقيرهم بدون ضم شيء آخر اليه

« فلذلك ومارأيناه من ميل علماء الازهر وغيرهم من التحرير لجانب الحكومة السنية بالتماس العدول عن المشروع الجديد وإبقاء الحال على ما كان عليه قد جرت المذاكرة في هذا الشأن بمجلس ادارة الازهر بجلسته المنعقدة يوم الاحد ٢٨ مايو الجاري فقرر أن يرفع الامر الى عطوفتكم والى هيئة الحكومة رجاء العدول عن هذا المشروع وابقاء الحال على ما كان احتراماً لكتاب الله تعالى وأجابة لندا علماء الامة • وأن لا يكون الامتحان في نظارة المعارف كما يقتضيه المشروع

فلهذا اقتضى تحريره ومع الموافقة يرسل من هذا التحرير صورة الى مجلس شورى

القوانين للعلم بما فيه أقدم اه

وهذا الكتاب مستقد من وجوه (منها) أن عبارته كعبارة بعض الجرائد فيها ما ينتقد لغة ولا نطيل فى هذا . (ومنها) ان الحكومة لم تشترط في إعفاء الحفاظ من القرعة العسكرية الدراية بفن الحساب ونحوه . وانما اشترطت معرفتها بقواعد الحساب الاربع فى الصحاح دون الكسور وهو ما يمكن تحصيله في أسبوع واتقانه فى شهر ومعرفته كمعرفة الاسم والفعل والحرف في النحو بتمييز بعضها من بعض بالاجمال فان كان العارف بهذه يعد ذا دراية بفن النحو فالعارف بالقواعد الاربع الصحيحة يعد ذا دراية بفن الحساب . والدراية هي العلم وقيل هي أخص من العلم . ثم ان المفهوم من كلة ونحوه سائر الفنون الرياضية كالجبر والمقابلة والهندسة وليس شيء من هذا مشروطاً (ومنها) قوله انعقد الاجماع على ان حفظه والتعبد بتلاوته من أهم أمور الدين وقد علم مما تقدم ان كلا من الحفظ والتعبد انما يكونان من مهمات الدين بالشروط والآداب التى فهمت من الآيات والاحاديث السابقة وذلك لا يتحقق الا فى الحفاظ وأهل القرآن الذين ينطبق عليهم معانى الآيات والاحاديث وأقوال العلماء التى تقدمت وهي لا تنطبق على الحفاظ الامين الذين لا حظ لهم من القرآن الا تحريك اللسان بها للكسب أو للعبادة فأما تحريكها للكسب فقد علمت ما فيه على ان بعض العلماء أجاز أخذ الاجرة على تعليمه بعقد صحيح وقلما يسلم للتعليم الامي المحض الذي لا يعرف ما اشترطته الحكومة فى إعفاء الحفاظ . وأما التعبد بالقراءة فلا مزية له على القاري بالمصحف بل صرح العلماء بأن القراءة في المصحف أفضل وروي الحديث فى ذلك . وهذا التعبد عندهم سنة لا فرض كفاية فهو من قبيل الذكر والتسبيح . فكأن شيخ الازهر لا يريد الا إعفاء الحفاظ القائمين بحقوق القرآن وقليل ما هم وهو خلاف المتبادر من غرض كتابه (ومنها) قوله ان القائمين به أي بالحفظ كالمجاهدين فى سبيل الله تعالى والظاهر ان هذا من المجمع عليه فى رأي الشيخ وقد رأيت كلام الحافظ ابن حجر فيه وانه لا ينطبق على هؤلاء الحفاظ الجاهلين بمعاني القرآن وإفادتها (ومنها) قوله وانه أصل الاصول فكل شيء يرجع اليه ويتبعه : وليس حفظ القرآن من غير فهم أصلا لاصول الدين يرجع اليه كل شيء

واما ذلك القرآن نفسه من حيث فهمه واستنباط الاحكام منه والاهتداء والارشاد به وهؤلاء الحفظة المطلوب امتحانهم بالقراءة من غير اشتراط الصواب وعدم اللحن ليسوا على شيء من ذلك . — فعلم ان دعوى الاجماع على ما فهم من الكتاب غير صحيحة بل لم يقل احد من الائمة بأن امثال حفاظ الالفاظ الذين يدعى واحدهم في مصر بالفقي لهم تلك المزايا والحقوق والاحترام الديني فالنتيجة المرادة من كتاب الشيخ المبنية وهي العدول عن المشروع احتراماً لكتاب الله تعالى لا تترتب على تلك المقدمات بل تنفيذ المشروع أقرب الى احترام القرآن وأهله من العدول عنه لان اللائق بحملة القرآن أن يكونوا من أهل العلم باللغة والقراءة والكتابة بل ان يكونوا أعلى من ذلك كما علم مما تقدم

وعما انتقد به الكتاب كونه بقرار من مجلس إدارة الازهر الذي يعد من مجالس الحكومة وهو مقيد بقانون ليس له أن يتعداه رسميا فكان اللائق ان يكون نصيحة دينية غير رسمية ان كان هناك وجه للنصيحة

ارسل الكتاب الى رئيس النظار وبعد ارساله بيوم نشره المؤيد بتاريخه (وهو ٢٤ ربيع الاول) وعدده الرسمي (وهو نمرة ٦٦٧) وفي اليوم التالي لنشره اجتمع شيخ الازهر ببعض اعضاء مجلس الشورى فسألوه هل في مشروع الحكومة شيء مخالف للدين فقال لا وتذاكروا في كتابه الى رئيس النظار فقال لهم على ما نقل الينا ان الكتاب الذي نشر وكتب لم يكن مطابقاً لما أمر هو به وانه رأى فيه بعد النشر ما لم يكن يعلم واقتنع بأن ارساله كان في غير محله وبادر الى ملاقاة رئيس النظار واعتذر له عن ارسال الكتاب ورغب اليه في (سحبه) واهماله وحسبانه كان لم يكن فقبل الرئيس منه ذلك . وكان هذا من دلائل سلامة قلب الاستاذ شيخ الجامع وحسن نيته على أن سحب الكتاب قد ساء الذين سعوا فيه وحملوا الشيخ عليه كما ساء ارساله جميع العقلاء الذين علموا ان عاقبته لا تكون حسنة وهو الآن حديث العامة والخاصة وجميع المسلمين مستغربون لما صار اليه مجلس ادارة الازهر من التأثر بكلام أهل الاهواء الذين يذمون الحسن ويمدحون القبيح ومجاراتهم التي تفضي الى ما لا تحمد عقباه